

تفسير ابن كثير

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ

يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمة ، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ، ومن دخله كان آمنا ، فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا ، كما قال تعالى : (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [قريش : 1 - 4]
وقوله : (أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي : أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه [غيره من] الأصنام والأنداد ، و (بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار) [إبراهيم : 28] ، وكفروا بنبي الله وعبدوا ورسوله ، فكان اللائق بهم إخلاص العبادة لله ، وألا يشركوا به ، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره ، فكذبوه وقتلوه وأخرجوه من بين ظهرهم ؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وقتل من قتل منهم بيدر ، وصارت الدولة لله ولسوله وللمؤمنين ، ففتح الله على رسوله

مكة ، وأرغم آنافهم وأذل رقابهم .